

الحذر الحذر الحذر
يا أصحاب المجالس والاستراحات
من
الغيبة

بقلم

د. أحمد بن عبدالعزيز الحصين

الطبعة الأولى
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
حقوق الطبع محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الكرام .

وبعد : من المعلوم أن الإنسان في طبيعته اجتماعي يحب الاجتماع والأنس مع الآخرين ، ويحب الخوض في الحديث في أمور شتى ، ولذلك تكونت المجالس للاجتماع ومناقشة الأمور السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية . . . وغيرها من الأمور الدافعة والحافزة للحديث عنها باستمرار ، وهي ما يُطلق عليها في دول الخليج العربي مجالس تُسمى «الدواوين» ، وهي خصيصة من خصائص المجتمع العربي عامة ، والمجتمع الخليجي خاصة ، يجتمعون ويتسامرون ويتعارفون .

والمجلس هو موضع الجلوس ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (المجادلة) .

قال القرطبي : . . . كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والأجر ، سواء أكان مجلس حرب ، أم ذكر ، أم مجلس يوم الجمعة .

وقال ابن الجوزي : لدى كل جالس مجلس .

إذاً المجلس : هو المكان الذي يكون به اجتماع سواء أكان هذا المجلس مجلس ذكر ، أم حرب ، أم مجلس جمعة إلى آخره .

ولكن هذه المجالس أو الدواوين لا تخلو من ظاهرة الغيبة ، والنميمة ، وأكل لحوم الناس بالباطل ، فتجد رواد الدواوين يتفنون في القيل والقال ، وتناسوا حديث الرسول ﷺ حين قال : «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة» . (البخاري ١١ / ٢٦٤ - والترمذي رقم الحديث ٢٤١٠)

والغيبة يا رواد الدواوين هي فساد القلب ، واجتماع الآفات من حقد وغل ومرض خبيث ، وصدق الشاعر حين قال :

فدع عنك ذكر فلانة وفلان

واجنب لما يلهي عن الرحمن

واعلم بأن الموت يأتي بغتة

وجميع ما فوق البسيطة فان

فإلى متى تلهو وقلبك غافل

عن ذكر يوم الحشر والميزان

والتكلم في أعراض الناس هو فساد وإفساد للمجتمع ، ونشر

الفتن والكراهية بين المسلمين ، فكم من بيوت دُمِّرت ، وكم من

فتاة قُتلت ، وكم من ديار حُرِّقت ، وكم وكم وكم . . .

فصاحب الغيبة بضاعته كاسدة ، وفاكته فاسدة .

يقول النووي رحمه الله : اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن

يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة ،

ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة ، فالسنة الإمساك عنه ،

لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه ، وذلك كثير في العادة ، والسلامة لا يعدلها شيء .

وهذه رسالة أقدمها نصيحة إلى أصحاب الدواوين وروادها ، لأنني مشفق عليهم ، ومحِب لهم ، فعليهم البعد كل البعد عن الغيبة والفواحش ، ما ظهر منها وما بطن .

فالغيبة آفة عظيمة من آفات اللسان المذمومة التي ذمها الله سبحانه وتعالى ، وقبَّح فعلها ، لما فيها من الظلم والتجني على المغتاب وما يسببه ذلك من ضرر .

فلذلك الغيبة تحبط الأعمال وتآكل الحسنات كما تأكل النار الهشيم .

والغيبة مباحة في ستة مواضع كما ذكرها أهل العلم ، وأوجزوها في هذين البيتين :

القدح ليس بغيبة في ستة

متظلم ومعرّف ومحدّر

ولظهر فسقاً ومستفت ومن

طلب المعونة في إزالة منكر

فاجعلوا - أيها الأخوة - من دواوينكم دواوين خير وإصلاح ،
ووعظ وإرشاد ، وذكر حميد . وأخيراً أدعو الله العلي القدير أن
تكون هذه الرسالة باباً من أبواب الهداية ، وتنبيهاً للغافلين
والعاصين .

تعريف الغيبة:

الغيبة هي ذكر أخاك الغائب بما يكره :

وقد عرفها رسول ﷺ حين سأل النبي ﷺ الصحابة رضي
الله عنهم فقال : «أتدرون ما الغيبة؟ ذكر أخاك بما يكره ، فإن كان
فيه ما تقول فقد اغتبتته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته» (أي كذبت
عليه) (رواه مسلم رقم ١٩٣٥) .

الآيات التي تحذر من الغيبة:

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ

الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴿الحجرات﴾ .

قال الفضيل بن عياض رحمه الله : ما يحل لك أن تؤذي كلباً أو خنزيراً بغير حق ، فكيف تؤذي مسلماً .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا ﴾ ﴿٣٦﴾ (الإسراء) .

وقال تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ﴿١٨﴾ (ق) .

والغيبة تكون أحياناً باللسان ، وقد تكون أحياناً أخرى بالإشارة ، وقد تكون أيضاً بسوء الظن في أخيك المسلم .

قال تعالى : ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُزَّةٌ ﴾ ﴿١﴾ .

وقال تعالى : ﴿ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ ﴿١١﴾

الأحاديث النبوية التي تحذّر من الغيبة:

عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال : قلت يا رسول الله :
أي المسلمين أفضل؟ قال : «من سلم المسلمون من لسانه ويده»
(رواه مسلم رقم ٤٢ في الإيمان) .

وقال ﷺ : «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما ينتبه فيها ينزل بها إلى
النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» (رواه البخاري ومسلم) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ليلة أسري بالنبي ﷺ
نظر في النار فإذا قوم يأكلون الجيف ، قال : «من هؤلاء يا
جبريل» قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس» (رواه أحمد) .

عقاب الغيبة في الدنيا والآخرة:

أما في الدنيا : فقد قال رسول الله ﷺ : «يا معشر من آمن
بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا
عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن
تتبع الله عورته ، يفضحه ولو في جوف بيته» (رواه أحمد) .

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : كنا مع النبي ﷺ فارتفعت ريح متتة ، فقال رسول الله ﷺ : «أتدرون ما هذه الريح»؟ «هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين» (رواه أحمد المسند ٤ / ٤٢١) .

أما في الآخرة : عن أنس ونحوه قال رسول الله ﷺ : «لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت من هؤلاء يا جبريل»؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» (أبو داود وأحمد) .
ولله در القائل :

فإن عبت قوماً بالذي فيك مثله

فكيف يعيب الناس من هو أعور

وإن عبت قوماً بالذي ليس فيهم

فذلك عند الله والناس أكبر

قالوا عن الغيبة:

- * قال علي بن الحسين عن الغيبة : هي إدام كلاب الناس .
- * قال عبدالله بن المبارك : قلت لسفيان الثوري يا أبا عبدالله ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة ما سمعته يغتاب عدو له قط ، فقال : هو أعقل من أن يسלט على حسناته ما يذهبها .
- * وقال أيضاً : لو كنت مغتاباً أحداً لا غتبت والدي ، لأنهما أحق بحسناتي .
- * وجاء رجل إلى الحسن فقال : إن فلاناً قد اغتابك فبعث إليه طبقاً من الرطب وقال : بلغني أنك أهديت إليّ حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك بها على التمام .
- * وقال رجل للفضيل بن عياض : إن فلاناً يغتابني ، قال : لقد جلب إليك الخير جلباً .
- * وكتب أشهب بن عبدالعزيز إلى رجل كان يقع فيه ، أما

بعد فإنه لم يمنعني أن أكتب إليك أن تتزايد مما أنت فيه إلا كراهية أن أعينك على معصية الله واعلم أنني ارتع في حسناتك كما ترعى الشاة في الخضر والسلام .

* وقال عبدالرحمن بن مهدي : لولا أنني أكره أن يُعصى الله لتمنيت ألا يبقى في هذا المصر أحد إلا وقع فيَّ واغتابني ، فأبي شيء أهناً من حسنة يجدها الرجل في صحيفته يوم القيامة لم يعملها ولم يعلم بها .

* قال أبو عاصم النبيل : ما اغتبت مسلماً منذ علمت أن الله حرّم الغيبة .

* اغتاب رجل رجلاً عند معروف الكرخي فقال له : اذكر القطن إذا وضع على عينيك .

* قال وهب : نذرت أنني كلما اغتبت إنساناً أن أصوم يوماً ، فكنت أغتتاب وأصوم فنويت أنني كلما اغتبت إنساناً أن أتصدق بدرهم ، فمن حب الدراهم تركت الغيبة .

* وذُكر عن عيسى بن مريم - عليه السلام - أنه قال لأصحابه : أرأيتم لو أتيتم على رجل قائم قد كشفت الريح عن بعض عورته كنتم تسترون عليه؟ قالوا : نعم ، قال : بل كنتم تكشفون البقية ، قالوا سبحان الله كيف تكشف البقية ، قال أليس يذكر عندكم الرجل فتذكرونه بأسوأ ما فيه فأنتم تكشفون بقية الثوب عن عورته .

* وقال مجاهد : إذا أكلت لحم أخيك فعليك أن تثني عليه وتدعوه بالخير ، وإن كان قد مات .

رؤية خالد الربيعي رحمه الله في منامه

روى خالد الربيعي التابعي الجليل - رحمه الله - في منامه قائلاً : كنت في الجامع ، فتناولوا رجلاً فنهيتهم عن ذلك ، فكفوا وأخذوا في غيره ، ثم عادوا إليه فدخلت معهم في شيء من أمره ، فرأيت تلك الليلة في المنام كأني أتاني رجل أسود طويل ومعه طبق عليه قطعة لحم خنزير فقال لي كل فقلت آكل لحم

خنزير؟ والله لا آكله ، فانتهرني انتهاراً شديداً ، وقال قد أكلت ما هو شر منه فجعل يدسه فيّ حتى استيقظت من منامي ، فوالله لقد مكثت ثلاثين يوماً أو أربعين يوماً ما أكلت طعاماً إلا وجدت طعم ذلك اللحم ونتاجه فيّ .

كفارة الغيبة:

الغيبة من الكبائر التي نهى عنها الإسلام وحذر من فعلها ، وأنه لا كفارة لها إلا التوبة النصوح التي من شروطها :

أولاً : الإقلاع عنها .

ثانياً : الندم على فعلها .

ثالثاً : العزم على عدم العودة إليها .

رابعاً : طلب العفو والصفح من الذي اغتبتبه ، فإن كان قد مات عليك بكثرة الاستغفار له ، لعل الله أن يقبل توبتك .

الختام

إن الغيبة من أكبر الكبائر في الإسلام فهي تدمر الأسر وتنتشر العداوة والبغضاء بين المجتمع الإسلامي .

قال القرطبي : الإجماع على أنها من الكبائر ، وأنه يجب التوبة منها إلى الله .

والغيبة يا أصحاب الداواوين وروّادها أن تذكروا أحاكم بما يكره لو بلغه ، سواء ذكرته بنقص في بدنه ، أو نسبه ، أو في خلقه ، أو في فعله ، أو في قوله ، أو في دينه ، حتى في ثوبه وداره ودابته .

والمستمع للغيبة شريك فيها ، إلا أن ينكر بلسانه أو قلبه ، وإلا قطع الكلام ، وإن منع المغتاب ، ودافع عن الغائب كان حقاً على الله أن يعتقه من النار .

قال عليه السلام : «من ذبّ عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاً على الله أن يعتقه من النار» (أحمد والطبراني) .

فعلى أصحاب الدواوين أن يمنعوا منعاً باتاً في مجالسهم الغيبة ، وأن يحدّروا روادهم من الغيبة أو يكتب على ورقة أحاديث الغيبة ، ثم يعلقها في مجلسه حتى تبرئ نفسه يوم القيامة من الغيبة ، وأذكركم يا أصحاب الدواوين بحديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه : «أتدرون من المفلس»؟! قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم يطرح في النار» (رواه مسلم والترمذي) .

فهل يا أصحاب الدواوين وروادها تريدون أن تكونوا من أصحاب النار؟! إذأ بادروا بنصيحة كل مغتاب ، ونظّفوا مجالسكم من القيل والقال ، عسى أن تكونوا من المفلحين والفائزين بجنة عرضها السموات والأرض ، وفقكم الله وسدد خطاكم .